

تفسير ابن كثير

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ^ط فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ أَمْ تَرَوُهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ^ق وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ^ق وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

يقول تعالى : (إِنْ تَنْصُرُوهُ) أي : تنصروا رسوله ، فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه ، كما تولى نصره (إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ) [إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ] (أي : عام الهجرة ، لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه ، فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة ، فلبأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ، ثم يسيرا نحو المدينة ، فجعل أبو بكر - رضي الله عنه - يجزع أن يطلع عليهم أحد ، فيخلص إلى الرسول - عليه السلام - منهم أذى ، فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يسكنه ويثبته ويقول : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، أنبأنا ثابت ، عن أنس أن أبا بكر حدثه قال : قلت للنبي - صلى الله عليه وسلم - ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت

قدميه . قال : فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما .أخرجاه في الصحيحين .ولهذا
قال تعالى : (فأنزل الله سكينته عليه) أي : تأييده ونصره عليه ، أي : على الرسول في
أشهر القولين : وقيل : على أبي بكر ، وروي عن ابن عباس وغيره ، قالوا : لأن الرسول لم
تزل معه سكينه ، وهذا لا ينافي تجدد سكينه خاصة بتلك الحال ؛ ولهذا قال : (وأيده
بجنود لم تروها) أي الملائكة ، (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي
العليا) قال ابن عباس : يعني (كلمة الذين كفروا) الشرك و (كلمة الله) هي : لا إله
إلا الله .وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : سئل رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقا تل حمية ، ويقا تل رياء ، أي
ذلك في سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .وقوله
: (والله عزيز) أي : في انتقامه وانتصاره ، منيع الجنا ب ، لا يضام من لا ذبابه ،
واحتمى بالتمسك بخطابه ، (حكيم) في أقواله وأفعاله .